الرجع البعيد

للأستاذ محمود الخفيف

إيه قيثارتي تغنّي ... أعيدي   لحن ماضيّ واشتكي من جديد
جدّدت جدّة الزمان هيامي   وأثار الربيع ذكرى عهودي

* * *

ردّدي في الشتاء أحلام أمسي   عل في الذكريات روحاً لنفسي
جدّدي اللحن كم خدعت فؤادي   بسراب من المنى والتأسي

* * *

عهدي موجعاً صحاني الضلوع   وهفا اليوم بعد طول الهجوع
راح يشتاق في الربوع نسياً   في شذاه عهود تلك الربوع!

* * *

أتسلّى يا ويلتا بغنائي   ومن الداء أستمد دوائي!
لذت بالوهم والتعلل حيناً   لم أصب فيهما أقل شفاء

* * *

ما لهذي الملاعب الخضر توحي   خطرات أغرقن في الهم روحي
كن بالأمس والمنى نيّرات   مبعث السحر والهوى والطموح

* * *

شقت بالروض أنقل الخطو وحدي   بين زهر به وضاحك ورد
صورت في الضحى يزدن عذابي   ومعان يثرن كامن وجدي!

* * *

خيلت جنتي لقلبي الشريد   وحشة البيد في القفار المديد
وغدا لحني المردد فيها   بعد موت المنى كرجع بعيد!

* * *

يا بنات الهديل رددن لحني   وخذي الشوق والتفجع عني
أنا أشجى بكا وأصدق وجداً   وأنوق الهديل روعة فن

* * *

يا صحابي لا تنكروا اليوم سجعي   أنا مثلي لو كان قلبي طوعي
سأسرّي عن مهجتي يا رفاقي   ساعة الشوق ثم أحبس دمعي

* * *

ساعة الشوق؟ فيم يا نفس شوقي؟   تعب القلب بين يأس وخفق
حسبك اليوم من زمانك ذكرى   قبضة الدهر غيرها ليس تبقى

* * *

أين من كنت لا أرى لوجودي   أملاً دونها وأين عهودي؟
أين أيامي التي ذقت فيها   فوق هذا الثرى نعيم الخلود؟

* * *

هجرت أيكها الحمامة تجلى   فذوى الأيك والربيع تولى
أوحش الروض واستحالت قتادا   زهرات عدمن في الهجر ظلا

* * *

زهرات تجيع قلبي كساها   روعة السحر والوفاء سقاها
نبتت وهي طفلة فرعتها   وشببنا فأودعتها شذاها

* * *

صوّحت وهي غضة زهراتي   قبل أن ينطوي ربيع الحياة
كم يغيظ الفؤاد قول معاد   كل حسن مصيره للفوات!

* * *

الصباح الندي يوحي البكاء   والأصيل الرخي يحكي الفناء
وربيع الماء حولي نوح   لم يطق مسمعي له إصغاء!

* * *

الربيع الضحوك عيد لغيري   أبطلت فيه وحشتي كل سحر!
لا الأغاني به أغاني ربيعي   لا ولا العطر فيه سالف عطري

* * *

كل حسن به يلذع قلبي   وهو بالأمس كان فتنة لبي
أرأيت اليتيم في يوم عيد   حائر الدمع بين حبس وسكب؟

* * *

فرحة العيد في وجوه الصحاب   حوله كم تذيقه من عذاب
يتأذى، فإن تناسى لديهم   ليس الذل كله في التنائي!

* * *

عرف اليتم وهو غض جناني   ودهاني من يتمه ما دهاني
وتنائى، يا ليته ما تنائى   ثم ناداه أمسه فعصاني!

الخفيف